﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦﴾ [البقرة: 76]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمّا بيّن ﷻ بأنّ بني إسرائيل المقصودين بالحديث لا مطمع في إيمانهم لغِلَظ طباعهم وقسوة قلوبهم، عطف مبيّنا بأنّهم ذوو طباع وصفات مُتقلِّبَة ووجوه متعدّدة حيثُ إنّهم إذا لقوا الذين آمنوا بادروا يُخبرونهم بأنّهم مؤمنون مثلهم، وإذا انفردوا بأشياعهم وأتباعهم قال بعضهم لبعض: لا تُحدّثوهم بما فتح اللّه به عليكم فينافسوكم في ملككم، ويُحاجّوكم به عند ربّكم.

فالحديث تتمّة لذكر نعوتهم السّيّئة وصفاتهم المتقلّبة التي يبغون من ورائها الإضرار بالمؤمنين والفتّ في عضدهم وكسر شوكتهم.

والجملة الأولى من هذه الآية (إذا لَقُوا) معطوفة على جملة ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾ من الآية السّابقة "على أنّها حالٌ مثلها مِن أحوالِ اليهودِ، وقد قُصِدَ منها تَقييدُ النَّهي، أو التَّعجيبُ مِنَ الطَّمع في إيمانِهِم؛ فهو معطوفٌ على الحال بتأويل: وقد كان فريقٌ منهم آخَرُ إذا لَقُوا"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿لَقُواْ﴾: جذره اللّغويّ (لقي)، وأحد أصوله يدلُّ على التقاء اثنين وتوافيهما[2]، "وكلُّ شيءٍ استقبلَ شيئًا أو صادفَه فقد لقِيه، من الأشياء كلّها، واللَّقِيّان: كلُّ شيئَينِ يَلقى أحدُهما الآخر"[3].

والمعنى المحوري فيه: تحصيلٌ بالمقابلة مواجهةً أو تماسًّا أي بقوة، كالشيء المطروح

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/569.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (لقي).

على الأرض يُعثر عليه أو به، وعُلوق المرأة وجودٌ للجنين – قوى؛ لأن بذرته تَعْلَق بالرَحِم. ومنه: لقيتُ فلانًا، وكلُّ شيء استقبل شيئًا أو صادفه فقد لَقِيَه[1].

ويكون اللقاءُ حسّيًّا بالبصر، ويكون بالبصيرة كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: 223]، فعبّر عن يوم القيامة بملاقاة الله تبارك وتعالى[2].

ولا يخرج الفعل (لقوا) في الآية عن المعاني الّتي وردت عند المعجميّين، وهو مقابلة هؤلاء اليهودِ للمؤمنين الصّادقين[3].

2) ﴿خَلَا﴾: الجذر اللّغويّ منه (خلو)، "خَلا يَخلو خَلاءً فهو خالٍ، والخَلاءُ من الأرضِ: قرارٌ خالٍ لا شيءَ فيه. والرّجل يخلو خَلْوةً. واستَخلَيتُ المَلِك فأخْلاني، أي: خَلا معي، وأَخلَى لي مجلسَه"[4]، والأصل في معناه "يدُلُّ على تَعَرِّي الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ. يُقالُ: هو خِلْوٌ مِن كذا، إذا كان عِروًا منه. وَخَلَتِ الدَّارُ وغيرُها تَخلو. والخَلِيُّ: الخالي مِنَ الغَمِّ"[5] ويُطلق هذا الفعل إذا التقى إنسان بغيره في خلوة[6]، كناية عن الانفراد من دون إظهار ذلك.

والمعنى الوارد في الآية "أي: انفردوا معهم، وإنّما عدّي بـ(إلى)؛ لأنّه ضمّن معنى (انتهى)، كأنّه قيل: انتهوا إليهم في خلاءٍ"[7]، وخلا بعضهم إلى بعض: اجتمع النّفر الّذي لم ينافق إلى من نافق فعاتبوهم على ما تحدّثوا به ممّا يقيم الحجّة عليهم[8].

3) ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾: الجذر اللّغويّ منه (حدث)، وهو بمعنى الكلام والخبر، قليلاً كان أو كثيرًا[9]، والأصل في معناه "كونُ الشَّيء لم يكن. يُقالُ: حدثَ أمرٌ بعد أن لم

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (لقى).
(2) الرّاغب، المفردات: (لقى).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/289.
(4) الخليل، العين: (خلو).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلو).
(6) الرّاغب، المفردات: (خلا).
(7) السّمين، عُمدة الحفّاظ: (خلو).
(8) المَراغيّ، تفسير المَراغيّ: 1/150.
(9) الجوهريّ، الصّحاح: (حدث).

يكنْ... والحديثُ مِن هذا؛ لأنّه كلامٌ يحدُثُ منه الشَّيءُ بعد الشَّيء"[1]، والحديث هو الكلام الّذي يصل إلى المرء عن طريق السّمع أو الوَحي، يقظةً أو منامًا[2].

والمعنى في الآية: "أنّهم جرى بَينَهم حديثٌ في ما يَنزِلُ مِنَ القُرآنِ فاضِحًا لأحوال أسلافِهِم، ومَثالِبِ سِيرَتِهم مع أنبِيائِهِم وشَريعَتِهِم"[3].

4) ﴿فَتَحَ﴾: الجذر اللّغويّ منه (فتح)، وله معانٍ عدّة، منها كونه نقيض الإغلاق، وفتح دار الحرب، والفتح على القارئ، والنُّصرة، والحكم، وغيرها[4] والمعنى المُراد هنا هذا الأخير، وهو الحكم، وكذلك يحتمل العلم والإعلام، والأصل في معنى الفتح "يدُلُّ على خلاف الإغلاق. يُقالُ: فَتَحتُ البابَ وغيرَهُ فَتحًا. ثمَّ يُحمَلُ على هذا سائرُ ما في هذا البناء. فالفَتحُ والفِتَاحَةُ: الحُكمُ. واللّٰهُ تعالى الفاتِحُ، أي: الحاكم"[5].

والمعنى الآخر له "فتح المُستغلَق من العلوم، نحو قولك: فلانٌ فَتَحَ من العلم بابًا مُغلَقًا... وفتح عليه كذا: إذا أعلَمه ووقّفَه عليه"[6].

ومعنى ﴿بِمَا فَتَحَ﴾ في الآية: بما حكم اللّٰه به عليكم، وقضاه فيكم[7].

5) ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾: الجذر اللّغويّ منه (حجج)، ومنه الحُجَّة وهي "وَجهُ الظَّفَر عند الخُصومة. والفعل حاجَجتُه فَحَجَجتُه. واحتَجَجتُ عليه بكذا. وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ. والحِجاج المصدر"[8]. ويدور معناه حول تجوُّف كهفيّ صُلب أو مَتين (يحمي ضعيفًا في داخله) كحِجاج العين (يحمي مُقلَة العين بكلّ ما حولها)، ومنه "حَجَّ البيت: قصده (زاره) (دخل حَوزَته وحَرَمه). ولعلَّ الأصل كان دخول البيت (الكعبة). الحُجّة -بالضّمّ: البرهان "وهي من المعنى المحوريّ كأنّها ظرف قويّ صُلب للرّأي

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حدث).
(2) الرّاغب، المفردات: (حدث).
(3) ابن عاشور: التّحرير والتّنوير: 1/569.
(4) الخليل، العين: (فتح).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فتح).
(6) الرّاغب، المفردات: (فتح).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 2/150، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/570.
(8) الخليل، العين: (حج).

يحفظه ويَدعمه. و"المحاجّة: المجادلة "من هذا كلٌّ يأتي بحُجّته، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: 258][1].

"وممكنٌ أن يكونَ الحُجَّةُ مُشتقَّةً مِن هذا؛ لأنّها تُقصَدُ، أو بها يُقصَدُ الحقُّ المَطلوبُ"[2]، "والحُجَّة: الدّلالة المبيِّنة للمحجَّة، أي: المَقصد المستقيم الّذي يقتضي صحّة أحد النّقيضَين"[3].

والمحاججة: مفاعلة ومشاركة؛ لأنّ كلّ واحد من الخصمَين يريد ردّ صاحبه والانتصار عليه في حجّته[4].

ومعنى ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ في الآية: ليقيموا عليكم الحجّة، ولتكون الحجّة في الآخرة للمؤمنين[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يخبر اللّه تعالى في الآية الكريمة عن صورتَين متغايرتَين من اليهود؛ الأولى في أنّ منافقيهم إذا لقوا المؤمنين من أصحاب الرّسول ﷺ قالوا بألسنتهم: آمنا، وإنّكم على الحقّ، وإنّ محمّدًا ﷺ هو الرّسول الّذي بُشِّرنا به فيما نُقل لنا.

الصّورة الثّانية: فإنّهم إذا خَلا بَعضُهُم ممّن لم ينافق إلى بعضهم الآخر المُتّصف بالنّفاق عتبوا عليهم وقالوا لهم في إنكار: أتخبرونهم بما حكم اللّه به عليكم، وقضاه فيكم، وبما بيّن لكم في التّوراة من صفة الرّسول محمّد ﷺ، ونعتِه، ونُبوَّتِه؛ لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم يوم القيامة، أفلا تعقلون ما فيه الضرر عليكم من هذا التحدث الواقع منكم لهم[6].

وترشد الآية إلى حقيقة ما انطوت عليه نفوس اليهود؛ إذ توارثوا النِّفاق والخِداع والتلاعب بالدين.

---

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (حجج).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حج).
(3) الرّاغب، المفردات: (حج).
(4) السّمين، عُمدة الحفّاظ: (حجّ).
(5) القاسميّ، محاسن التّأويل: 1/170.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 2/150، والشّوكانّي، فتح القدير: 1/122، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 11.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

فائدةُ التَّقابلِ بين الجملتين المُصدَّرتين بـ(إذا) الظّرفيّة:

بـيـانُ ذبـذبـةِ الـيـهـودِ وتـلـوّنِـهـم، وفي ذلك دلالـة على ضعفِهم سلوكًا وعلمًا

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ جملتان في وصف اليهود، دلَّتِ الأولى على حالهم عند لقاء المؤمنين، وقولهم: (آمنَّا) بحسب زعمهم، ودلَّت الأخرى على حالهم عند انفرادهم، وتوبيخ بعضهم بعضًا بسبب تحدُّثهم عن صفة النّبيّ محمّد ﷺ المذكورة في التّوراة، وهما في مجموعهما تدلّان على ذبذبة اليهود، وتلوّنهم، وعدم ثباتهم، و"مِثلُ هذه الذَّبذَبَةِ تكونُ مِنَ الأمم في طور الضَّعف، ولا سيَّما ضَعفُ الإرادةِ والعِلم، ولو كان لأولئك القوم إرادةٌ قويَّةٌ لَثَبَتوا ظاهرًا على ما يَعتقِدونه باطلًا، ولم يُصانِعوا مُخالفيهم من أهل المِلَّة الأولى، أوِ المِلَّة الآخرة"[1].

غرضُ الهَمْزَةِ في قولِه: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾:

توبيخُ اليهودِ بعضِهم لبعضٍ بسبب كشفِهم الحقائق

الهمزة في الفعل (أتحدّثونهم) في قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ همزةُ "استفهام للإنكار أو التَّقرير أو التَّوبيخ، بقرينة أنّ المَقامَ دلَّ على أنّهم جرى بينَهم حديثٌ فيما يَنزِلُ مِنَ القُرآنِ فاضحًا لأحوالِ أسلافِهم، ومَثالِبِ سِيرَتِهم مع أنبيائِهم وشَرِيعَتِهم"[2].

ففي الاستفهام توبيخٌ من بعض اليهود لبعضهم الآخر؛ لأنّ هؤلاء "ظنُّوا أنّ ذلك خَلَصَ للنَّبيّ ﷺ مِن بَعضِ الَّذين أظهَروا الإيمانَ مِن أتباعِهم، وأنّ نِفاقَهم كان قد بَلَغَ بهم إلى أن أخبَروا المُسلمينَ ببعضِ قَصَصِ قَومِهم سَترًا لِكُفرِهِمُ الباطِنِ؛ فوَبَّخوهم على ذلك تَوبيخَ إنكارٍ"[3] أي: من بعضهم لبعضهم الآخر، وهو توبيخ المبطل للمحقّ.

(1) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/297.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/569.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/570.

بلاغة المجاز في قولُه تعالى: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾:

نظرةُ الاستعلاءِ عند اليهودِ بأنَّهم مفتوحٌ عليهم وغيرهم محصورون

ابتدأ قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بفعل الحديث، ثمّ ذكر فعلًا آخر يبدو بعيدًا عن سياق الجملة، وهو فعل الفتح، و"المُرادُ بالفَتح هنا: الإنعامُ بالشَّريعة والأحكام، والبِشارةُ بالنَّبيِّ ﷺ، شبّه الّذي يُعطَى الشَّريعةَ بالمَحصور يُفتَحُ عليه فيَخرُجُ مِنَ الضِّيق"[1]، ويؤيّد ذلك أنّ الحديث هو إخبار الشّخص عن نفسه من غير إسناد إلى غيره[2]، فكأنّ الحديثَ محصورٌ في الشّخص نفسه، فيفتح الله عليه فيظهره.

دلالة العنديّة في قولُه تعالى: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾:

العنديّة مجازيّة، أي عند ربّكم في الآخرة أو في حكمه وقضائه

قوله تعالى: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ أي: في الآخرة، وقيل: المعنى عند ذكر ربّكم[3]، ولفظ المحاججة يوحي بأنّهم "جعلوا محاجّتهم به، وقولهم: هو في كتابكم هكذا محاجّة عند اللّه"[4]، هذا ظاهر الكلام إلاّ أنّ قوله: (عند الله) ليس على الحقيقة اللّغويّة، بل هو من باب المجاز، أي: في حكمه وشرعه، فقد يُقال: "وهذا عند الشَّافعيِّ حلالٌ، وعند أبي حنيفةَ حرامٌ، أي: في حُكمِهما، وقولُهُ: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾، أي: لِتَصيروا مَحجوجينَ بتلك الدَّلائِلِ في حُكم اللّه"[5]، فليستِ العنديّة هنا على الحقيقة.

بلاغة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾:

نفيُ العقلِ المُقترنِ بالهمزةِ توبيخٌ لكلِّ من يصدرُ عنه مثل فعلهم

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ جملة من الهمزة والفاء العاطفة و(لا) النّافية الّتي دخلت على الفعل (تعقلون)، والغرضُ من هذا الاستفهام التّوبيخ، وهو "مِن بقيَّة مَقولِهِم لقَومِهِم، ولا يَصِحُّ جَعلُهُ

(1) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/296.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 41.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/168، والقُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 2/3.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/288.
(5) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 3/147.

خِطابًا مِنَ اللهِ للمُسلمِين تَذييلًا لقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾؛ لأنّ المُسلمِينَ – وفيهم الرَّسول ﷺ – ليسُوا جديرينَ بمثل هذا التَّوبيخ، وحَسْبُهم ما تضمَّنَه الاستِفهامُ مِنَ الاستِغراب أوِ النَّهي"[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحديث والخبر:

ثمّة فرق بين الحديث والخبر في الآية الكريمة؛ ذلك بأنّ الحديث "في الأصل هو ما تخبر به عَن نفسك من غير أن تسنده إلى غَيرك، وسمّي حَدِيثًا؛ لأنّه لا تقدّم له، وإنّما هو شَيء حدث لك فَحدّثتَ به"[2]، وقد اقترن الحديث في الآية بالفتح، فالعلاقة واضحة بين الحديث المُختصّ بالنّفس حسب، ومعنى الفتح في الآية في محصور يخرج من الضّيق، وحديث يخرج من النّفس، وليس ذلك في الخبر الّذي يمثّل "القول الَّذي يَصحّ وصفه بالصّدق والكذب، ويكون الإخبار به عن نَفسك، وعن غيرك"[3].

فقوله: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أنسب للسّياق؛ للدّلالة على ما كان يضمره هؤلاء اليهودُ من كتمان الحقّ، وقد شاء الله إظهاره.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/572.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 41.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 40.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»